هكذا قال زرادشت*

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

مقدمة لابد منها

نشر نيتشه كتابه هذا في أربعة أجزاء بين سنتي ١٨٨٣ و١٨٨٥، فأشعل ثورة فكرية لا في ألمانيا فحسب، بل في سائر الأقطار الأوربية والعالم الجديد. ولم يكن العالم العربي في ذلك العهد على اتصال وثيق بالحركة الفكرية الغربية، فلم يسمع بنيتشه وفلسفته حتى مر زهاء ثلث قرن، فورد اسمه على بعض الأقلام عرضاً، وكل ما عُرف عنه حينذاك في هذه البلاد هو أنه يدعو الى مذهب تمجيد القوة والعمل على إيجاد الانسان الأعلى بالقضاء على كل اعتقاد يشل الارادة ويثبط الهمم في معترك الحياة

وفي الواقع أن نيتشه الفيلسوف الألماني الأشهر قد دعا الى هذا المذهب ليعارض الفلسفة الدينية التي أخذ بها الغرب عن المسيحية فأغرق في احتقار الحياة باسمها، وضل ضلالاً بعيداً في تفهمها، إذ اعتبرها دعوة عن الاعراض عن الزائلة إعراضاً تاماً، ورأى الكمال للانسان في التقشف والزهد والترفع حتى عن العاطفة الجنسية التي يقوم الكون عليها

ولاح لنيتشه أن هذه النظريات الاجتماعية منحدرة من الايمان بالخالق وخلود الروح ما وراء المنظور فثار بعقله الجبار عليها وأنكرها جاحداً معها كل إيمان بغير الانسان نفسه والحياة نفسها

ولو كان تسنى لنيتشه أن ينفذ الى حقيقة الايمان الذي دعا عيسى اليه لكان تجلى له إيماناً بالقوة التي ترفع الضعفاء، لا بالضعف الذي يسلط الأقوياء عليهم. ولو كان تسنى لنيتشه أن يستنير بما في الاسلام من مبادىء اجتماعية عُليا لأدرك أنه باتباع مثل هذه المبادئ ينشأ الانسان الأعلى لا بالالتصاق بالأرض دون الالتجاء الى السماء

ولقد يلوح للبعض أن لا فائدة من ترجمة نيتشه الى العربية لأن فلسفته راسية على الجحود؛ أما نحن فنرى أن خلو المكتبة من هذا المؤلف الذي أثر التأثير الكبير في تطور الحركة الفكرية في أواخر القرن الثامن عشر في العالم الغربي يُعدُّ نقصاً فيها وقصوراً علينا؛ إذ لم يتردد أي شعب في نقله الى لغته. وفوق ذلك فان ما يتجلى في فلسفة نيتشه من جحود لا نراه يتجه الى الله الواحد الأحد الذي نعبده ونوحيه ندين، بل هو يتجه الى الألوهية المزيفة التي ارتسمت في ذهنه من إدراكه الناقص لحقيقة الوحي كما يفهمه المؤمنون

فلنمرّ، إذن، بجحود نيتشه باسمين، ولنقف عند نظراته في الحياة مفكرين

إن في كتاب زرادشت من المبادىء الاجتماعية ما يجدر بنا الوقوف عنده، لأنه يتفق والقاعدة التي وضعها الاسلام للحياة بحديث للنبي (صلعم) على قول، أو بكلمة لأمير المؤمنين عمر على قول آخر وهي:

(اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.)

لقد أدرك نيتشه الشق الأول من هذه الحكمة، وفاته الشق الأخير فلم يأمن الضلال والعثار؛ أما نحن أبناء هذا الشرق العربي فآخر هذه الحكمة راسخ في أعماق نفوسنا مما يجعل الشق الأول منها هداية لا ضلالا

هذا وإننا سنورد في آخر الترجمة بعد بسط فلسفة نيتشه التحليل الذي تقتضيه لاظهار فاسدها وصحيحها، فنقف في وجه المادية التي تطغى موجتها على المدنية، ونثبت أن لا خير في حضارة يعمل الانسان فيها لدنياه كأنه يعيش أبدا دون أن يعمل لآخرته كأنه يموت غداً.

فليكس فارس

وسنوالي نشر الكتاب كاملا ابتداء من العدد القادم

(*) لا علاقة بين بطل رواية نيتشه وحكيم الفرس، وقد اخترنا في سياق الحديث اختصار اسم زارادشت بزارا تخفيفا، وسوف نشير أيضا بعلامة الى كل عبارة سنتناولها بالبحث لابيات خطأ نيتشه فيها